الفصل العاشر

الإعلام الامبريالي وأثره على اعلام الدول النامية

الفصل العاشر

الإعلام الامبريالي وأثره على اعلام الدول النامية

إنّ انتشار الأفكار الثورية وانعتاق العديد من الشعوب المناضلة ونزوع حركات التحرر للنضال من أجل التطور الاقتصادي والتقدم الاجتماعي كل ذلك مع انتشار وسائل الاعلام الجماهيري قد ادى إلى احداث تحويلات عميقة في حياة الناس والمجتمع في عدد من القارات.

ولوسائل الاعلام اهمية خاصة في عصرنا فهي بمثابة مضاعفات عظيمة كما يصفها «ويلبر شرام» فالآلات في الثورة الصناعية كانت قادرة على مضاعفة الطاقة البشرية بأشكال اخرى من الطاقة فانّ وسائل الاعلام في الثورة الاعلامية المعاصرة، قادرة على مضاعفة الوسائل البشرية إلى درجة لم تصل بها من قبل يمكن استجلاء ذلك حين تحاول العديد من الاقطار النامية ايصال المعلومات الكثيرة وبسرعة إلى جمهور كبير من الناس بقدر ما يتعلّق الامر بالتنمية.

فهناك صراع درامي عنيف بين الإعلام الامبريالي المتمكّن من اداته حيث التطور التكنولوجي والإمكانيات التقنية العالية بالاضافة إلى الخبرة الثقافية، وبين اعلام الدول النامية صاحبة الامكانيات الضئيلة أو المعدومة والتخلف التكنولوجي والتقني.

هذا بالاضافة إلى ان إعلام الدول النامية يعتمد على تقديم قضيته بشكل صادق كقضية عادلة مخاطباً بها الرأي العام العالمي والإنساني هذا يشكّل صراعاً مراً بين الاعلامين، ويجعلهما يستخدمان اسحلتهما كل ضد الآخر، رغم الفوارق غير المتكافئة.

فوارق استملاك وسائل الإعلام بين الدول النامية:

من الضروري ان نعرف هناك فروقا كبيرة بين الاقطار النامية في هذا المجال. ففي بعض الاقطار الافريقية لا يجد المرء اية صحافة يومية، باستثناء مجلات منسوخة على الآلات الناسخة بينما تجد من جهة اخرى في اميركا اللاتينية ان الصحافة كلها متطورة بشكل جيد في المدن الكبيرة والصغيرة على حد سواء وقد اقترحت اليونسكو مقياساً لقياس كفاية أو عدم كفاية وسائل الاعلام في الاقطار النامية بأن يسعى كل قطر كهدف مباشر إلى تزويد كل ١٠٠ شخص من السكان بـ ١٠ نسخ من الصحافة اليومية وبـ ٥ اجهزة راديو لاقطة، وبمقعدين في السينما وبجهازين لاقطين للتلفزيون، وقالت اليونسكو في تقرير رفعته إلى الامم المتحدة عام ١٩٦٠.

ان حوالي ١٠٠ دولة أو اقليم تابع في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية لا تمتلك الحد الادنى من وسائل الاعلام الاربع وهذه الاقطار يبلغ عدد سكانها مجتمع ١٩١٠ ملايين أي ٦٦% من مجموع سكان الارض وهناك أيضاً ١٩ قطرا تضم ٢% من

سكان العالم لا تمتلك ثلاث وسائل اعلامية كحد ادنى وضعته اليونسكو وخلاصة القول ان ٧٠% من شعوب العالم تنقصه الوسائل التي تستقي منها الاخبار عن التطورات التي تجري في بلادها وفي البلدان الاخرى ويشير التقرير إلى حقيقة اخرى تلفت الانتباه وهي ان حوالي ٤٠ دولة ذات سيادة في المناطق المختلفة ليست لديها وكالات انباء وطنية، ولابد لها من الاعتماد في انبائها المحلية على الوكالات العالمية الخمس... الاسيوشيتد برس واليونايتد بريس انترناشنال «الولايات المتحدة» وورويتر «بريطانيا» وأجانس فرانس برس «فرنسا» وتاس «روسيا».

اضف إلى ذلك ان أنباء هذه الاقطار ترسل إلى الشكبات الاعلامية عن طريق الوكالات العالمية بالدرجة الاولى اي عن طريق مؤسسات لا تمتّ لها بصلة، هذا هو حال الاعلام في البلدان النامية فما هي الصورة في الدول المتقدمة وعلى وجه الخصوص الدول الرأسمالية، باعتبارها العائق الذي يقف امام تطور هذه البلدان.

الإعلام والاحتكارات في الدول الامبريالية:

في دراسة اعدّها قسم الصحافة في جامعة موسكو، عن وسائل الاعلام البرجوازية وسيطرة الاحتكارات الامبريالية عليها بينت ان نصف وسائل الاعلام في الدول الرأسمالية، يسيطر على ٥٠ احتكاراً في الصحافة والاذاعة والتلفزيون.

مثلاً بلغت ارباح التلفزيون الاميركي من بين الاعلان التجاري فقط في عام ١٩٥٠ مائة وسبعين مليون دولار وفي عام ١٩٧٠ بلغت ارباحه ٣/٦٠٠ مليون دولار، علماً بأنّ هذا التلفزيون خاضع خضوعاً تاماً إلى المؤسسات الاحتكارية.

ان التنافس المستمر والصراع العنيف بين وسائل الاعلام الامبريالية احرز تقلصا مستمرا في عدد الصحف اليومية ومؤسسات نشرها في البلدان الرأسمالية. لصالح الاحتكارات الاقوى ففي بريطانيا انخفض عدد الصحف في الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٧٠ بنسبة ٣٥% وتخضع عموم الصحف البريطانية الكبرى إلى سيطرة احتكارات بينها مؤسسة تومسن وانترناشنال بابلشنك كوربويشن ما عدا صحيفة مورنبج ستار للحزب الشيوعي البريطاني وفي ايطاليا انخفض عدد الصحف من ١٤٠ صحيفة يومياً عام ١٩٤٦ إلى ٨٧ صحيفة عام ١٩٧٢ وفي المانيا الاتحادية يشغل اكسل شبرنكر المكانة الاولى في السيطرة على وسائل الاعلام ودور النشر وتطبع مجلاته الدورية ١٥ مليون نسخة.

لقد رافق ظهور الاحتكارات الامبريالية في الصناعة والتجارة والبنوك في البلدان الرأسمالية، ظهور احتكارات مماثلة في النشاط الاعلامي عن طريق تملك وسائل الاعلام.

وامبراطورية روى تومسون المليونير الكندي خير دليل على ذلك، فهي تسيطر على ٢٠٠ صحيفة يومية، وعلى عشرات من محطات الاذاعة والتلفزيون ودور النشر ومؤسسات الطباعة في أكثر من عشرين بلداً.

أمّا الاحتكارات الأمريكية في وسائل الاعلام، فلها نصيب كبير في المجلات

الدورية، مثل مجلات الجنس والموضة والقصص البوليسية، وكذلك استديوهات انتاج الأفلام السينمائية، وأمتلات محطات الاذاعة والتلفزيون، وتطبع صحفها بـ٢٩ لغة عالمية وأشهر هذه الاحتكارات هي وكالة المعلومات في الولايات المتحدة، ففي مجال نشاط التلفزيون فقط تنتج هذه الوكالة ما يقارب من ١٧٠٠ برنامج في العام الواحد ناطقة بـ١٦٢ لغة عالمية تبثها ٥٠٠٠ محطة وتلتقطها ٢٠٨٢ محطة استلام للبث منتشرة في ٩٧ بلداً، وهناك مثال آخر على نفوذ وسائل الاعلام الرأسمالية، على البلدان الأخرى النامية بصورة خاصة، فمثلاً محطة صوت أمريكا الاذاعية لها أجهزة تقوية للارسال، في أكثر من ٦٠ بلداً، موزعة على الكوكب الأرضي منها ليبيريا - المغرب - فيتنام الجنوبية - بريطانيا - ألمانيا الغربية - وتبث برامجها الاذاعية بـ٥٠ لغة عالمية.

وسائل الاعلام الامبريالية والدول النامية

يقول ويلبر شرام: (أنّ انتقال المعلومات يمكن ان يشبه بأنتقال مياه الري، وهناك حاجة إلى تأمين كميات ملائمة في نهاية القناة بالرغم من الكميات التي تتسرب في الطريق عبر الصحراء)، ويضيف موضحاً: (أذنا نجد ان الاشاعة التي تخرج من نهاية القناة لا تشبه أحياناً أي شبه تلك الاشاعة التي دخلت القناة من أوّلها) نفهم مما سبق ذكره أثر القنوات التي من خلالها تصل الأنباء والمعلومات والرسائل الاعلامية إلى الناس في تكييف المعلومات. فحيثما تكون قنوات الاعلام طبيعية ومنسجمة مع هدف ومحتوى الرسائل الاعلامية يصبح من الممكن ان يصير الاعلام بنّاءاً، وفي عالمنا المعاصر تحشّد دول عدم الانحياز قواها لطرح مبادئها التي تدو إلى الحاجة أو الضرورة لتغيير العلائق الاقتصادية في العالم، وقد أخذت هذه الدول المناضلة مهمة الكفاح ضد وجه أخر من وجوه الاستعمار، هو أحتكارات الاعلام الغربي وخاصة وكالات الأنباء التي تعمل في تلك الدول كاداة للقوى الامبريالية.

إحتكارات مصادر الأنباء

تحدّثنا فيما مضي عن واقع الاعلام في الدول النامية، وطالما أن لوكالات الأنباء في الدول النامية أمكانات محدودة، فقد أشاعت وكالات الانباء الغربية بنجاح لسنوات عديدة الاسطورة القائلة بأنها وحدها القادرة على تزويد الوكالات المحلية بالاخبار العالمية، وبهذه الواسطة استطاعت ان تفرض ديمومة الاعلام (الكولونيالي) باسم حرية الصحافة، غير أنّ وكالات الأنباء الغربية قد كشفت عن معدنها الحقيقي حين ساندت بأسلوبها دعاية الولايات المتحدة ضدّ الحكومات الوطنية في الدول النامية، ونتيجة لتقاريره الصحفية المشوهة عن هذه الدول، تم إعادة النظر في بقائها في العديد من هذه الدول، التي قرّرت إيجاد طرق ووسائل تنهي إعتمادها التام على هذا الوكالات، إنّ هذه الوكالات لا تعمل في فراغ فهي من وسائل الاعلام الامبريالية تمتلكها وتديرها شركات إمبريالية، لهذا تقوم هذه الوكالات بتزويد الدول النامية

بالانباء التي تزعم إنّها موضوعية، والمتعلقة بسياسات وأفكار الأنظمة الرأسمالية، كما أنها تلعب دوراً فاسداً في تشويه مساعي الدول النامية لمقاومة الهجمات الاستعمارية الجديدة، اما أقسامها الاقتصادية فتعتبر شكلاً من أشكال التجسس المعادي لهذه الدول.

شبكات الإعلام الأميركي

إن شبكات الاذاعة والتلفزيون هي أكثر أجهزة الاعلام تأثيراً في نشر الأيديولوجية الامبريالية، وبخاصة في تلك الدول التي تكون نسبة الأُميّة فيها عالية جداً، وتلعب الشبكات الأميركية دوراً بارزاً في الدول النامية خاصة أميركا اللاتينية، فشركة أذاعة كولومبيا على سبيل المثال بثت برامجها إلى(١٠٠ بلد)، وبثت أخبارها التلفزيونية في(٩٥) من بلدان العالم الحر.

في عام ١٩٧٠ - ١٩٧١ حصلت شركتا إذاعة كولومبيا والاذاعة الوطنية على أكثر من نصف بليون دولار كقيمة بيع برامج ثقافية لدول ما وراء البحار، وفي سنة ١٩٦٨ أدارت شركة الاذاعة الاميركية العالمية ١٦ شركة أجنبية تدير ٩٧ محطة تلفزيونية في ٢٧ بلداً. وأستطاعت هذه الشركات أن تتغلغل في محطات التلفزيون والاذاعة في الدول النامية، إضافة إلى أن هذه الشركات مارست تأثيرها على صحافة الدول النامية، عن طريق الاعلانات التي تصرف عليها مبالغ طائلة، وكما هو معروف فأن الاعلانات تشكل دعامة رئيسية للصحف، بذلك خلقت إعتماداً سايكولوجيا على هذه الشركات.

والى جانب تأثيرها على الاذاعة والتلفزيون مارست هذه الشركات تأثيراً كبيراً في بعض الدول النامية عن طريق سيطرتها على أجهزة إعلامها، في سنة ١٩٧٠ باعت إذاعة كولومبيا(١٠٠) مليون إسطوانة خارج أميركا، أما وكالة اليونايتدبريس (وهي جزء من أمبراطورية هيرست العالمية للنشر). والاسوشيتدبريس فقط قطعتا سنة ١٩٧٠ إلى ٧٢% من الأنباء في ١٤ صحيفة كبرى في أميركا اللاتينية، وتصدر مجلة ريدرز دايجست وتسمّى طبعتها العربية المختار ١٠١ بلداً(٩) طبعات مختلفة، تصدر باللغة الاسبانية وحدها. وبلغ توزيعها خارج الولايات المتحدة (نصف مليون نسخة) وفي سنة ١٩٧١ حصلت وكالة الاعلانات الأميركية العملاقة، على أكثر من ٥٠% من مجموعة الاعلانات ماوراء البحار، وزادت اعلانات الشركات بعد هذا التاريخ ١٤ مرة، ودخل اليها ٥ر٢ بليون دولار كمجموعة لقيمة الاعلانات خارج الولايات المتحدة) أما في مجال الأنباء القادمة من آسيا وأفريقيا فإن وكالة الأنباء البريطانية رويتر، تتمتع وحدها بسطوة في آسيا وأفريقيا، وبخاصة في المستعمرات البريطانية السابقة، إن رويتر وهيئة الاذاعة البريطانية (بي بي سي) تؤلفان ماسورة الدعاية الامبريالية البريطانية التي تستخدمها لنسف إرادة الدول النامية في التحرر من الصحف الاقتصادية والثقافية، لا غرابة إذن ان الاعلام الغربي الاذاعة والتلفزيون والصحافة ووكالات الأنباء تشن حملة منظّمة ضد أي بلد نام يسعى لتعزيز استقلاله، والسيطرة على موارده الطبيعية.

اليونسكو واحتكار الإعلام

شرعت منظمة اليونسكو والدول غير المنحازة في السنين الأخيرة بمناقشة

مسالة إنهاء إحتكار الاعلام الغربي، وبخاصة في ميدان وكالات الأنباء، فقد اجتمع مجموعة من الخبراء في الاكوادور في سنة ١٩٧٥ بإشراف اليونسكو ليتدارسوا تخلخل الاعلام في أميركا اللاتينية، فوجد الخبراء أن ٨٠% من الأنباء الأجنبية التي تنشرها صحف أميركا اللاتينية كانت تقوم بتزويدها وكالات انباء أجنبية، وعلى وجه الخصوص وكالتي يونايتدبريس وأسوشيتدبريس الأميركيتين، مما أدى بهؤلاء الخبراء أن يوصوا حكومات أميركا اللاتينية أن تفرض مسؤوليتها في هذا الميدان.

هاجم الاعلام الامبريالي تقرير الخبراء هذا وأدان اليونسكو بأنها هدّدت (حرية الصحافة) وتحت هذا الضغط تراجعت حكومة الاكوادور عن إلتزامها، وكانت قد وافقت على إستضافة مؤتمر الاعلام، أضطرت اليونسكو أن تنتقل من مكان الاجتماع إلى كوستاريكا.. ومرة ثانية هاجم الاعلام الامبريالي المؤتمر المزمع عقده، دون معرفة مسبقة بالقضايا التي ستطرح والتوصيات التي ستقرر.

وأعلن انّه ليس لليونسكو الحق بأستخدام حرية الصحافة للتعبير عن أرائها، ولهذه الاعتبارات توجب على اليونسكو أن تكف عن الحديث عن «حرية الصحافة» على نحو مجرد، لقد صرح مديرها العام في مؤتمر وكالات الأنباء الغربية قائلاً:

«إن بعض الوكالات العالمية الكبيرة أذ تنتقي أخباراً تؤكد على ظواهر التأزم والعنف في بلدان العالم الثالث، كما أنّها تلتزم الصمت إزاء ما يجري من أحداث إيجابية تحدث بوتائر متزايدة في هذه بلدان ذتها».

إحتكار الاعلام ودول عدم الانحياز

في نهاية الخمسينات طرح ذهرو مفهوم عدم الانحياز في العالم «ووقف الاعلام الغربي ضد هذا المفهوم وقد وصفه فوستر والس بأنه (مفهوم لا أخلاقي قصير النظر) ووصف أبان الحرب الباردة، بأنه طالع الاعلام الغربي بنظرية مفادها أن عدم الانحياز أصبح لا لزوم له وينبغي الكف عنه.

لقد أكّد رؤساء دول عدم الانحياز في مؤتمر القمة المنعقد في الجزائر سنة ١٩٧٣، على الحاجة لاعادة تنظيم قنوات الاعلام الموجودة ورثة الماضي الكولونيالي.

وفي مارس سنة ١٩٧٦ دعت الندوة العالمية المنعقدة في تونس إلى إنهاء إحتكار الاعلام الغربي وطرحت مقترحاً لانشاء إتحاد لوكالات الصحافة في إجتماع وزراء الاعلام لدول عدم الانحياز في دلهي سنة ١٩٧٦، وصادق مؤتمر كولومبو في آب ١٩٧٦ على إنشاء إتحاد وكالات الأنباء، فأعلن هذا المؤتمر عن بدء حركة لتأسيس نظام إعلامي جديد.

وبالطبع لم يتوان الاعلام الغربي عن الهجوم على فكرة إنشاء إتحاد وكالات الأنباء ووصفه بأنه تعسفي يهدد حرية الصحافة، إن حركة عدم الانحياز تجاه معاد للاستعمار والامبريالية وهذا ما يؤدي إلى التعجيل في عملية إنهاء الاحتكار الامبريالي في ميدان الاعلام «التلفزيون، الاذاعة، الأفلام الاخبارية، النشريات، وما شابه ذلك»، أمّا التباكي على الحرية من قبل أجهزة الاعلام البرجوازية، فهو لا يعدو أن يكون دفاعاً عن مصالحها الوضاحة في العالم البرجوازي، التي عبر عنها ذات مرة المليونير الكندي روي تومسون حين قال: «إن إدارة محطة التلفزيون تشبه إمتلاك ترخيص لطبع النقود»، والمؤسسات الاعلامية في الدول الرأسمالية تتعامل بالخبر والمعلومات الاخبارية بطريقة مشابهة لصاحب مصنع أو متجر برجوازي يروم تصريف بضاعته، فالخبر في الاعلام الامبريالي بضاعة إستهلاكية تتحكم فيها قونين الاقتصاد الرأسمالي «العرض والطلب، والرحب والخسارة، المستهلكون هم القرّاء، المستمعون والمشاهدون» كما تحكم وسائل الاعلام البرجوازية قوانين الاقتصاد الرأسمالية الأخرى، فالمؤسسة الاعلامية القوية تطرد من السوق المؤسسة الاعلامية الضعيفة، تماماً مثلما يجري في ميادين الصناعة والتجارة الرأسماليتين.

إلاّ أنّ فلاسفة ومنظري الفكر البرجوازي يزعمون بإنّ إعلامهم حر، ويدافع عن الحريات ومضمون الحرية طبقاً للمفهوم البرجوازي هو حق الأقوى اقتصادياً في ابتلاع الأضعف منه، وما ينتج عن هذه العملية الدرامية من نشوء الاحتكارات ومن فتح الطريق للسيطرة على مقدرات الناس وتوجيههم سياسياً وفكرياً وإجتماعياً وأخلاقياً، مما يخدم مصالح البرجوازية وطريقة تفكيرها وتفسيرها للعالم.

فلاغرابه أن تسعى وسائل الاعلام الرأسمالية في ميدان السوق الداخلي إلى تحقيق إستهلاك لبضاعتها، وتصريف الأخبار والمعلومات وجني أكثر الأرباح، وفي ميدان السوق الخارجي تسعى للاستحواذ على الدعاية الخارجية دولياً.

كيفية التأثير الاعلامي الامبريالي على إعلام الدول النامية :

وممّا تقدّم نستطيع أن نجمل بالتحديد عوامل التأثير الاعلامي الامبريالي على إعلام الدول النايمة بما يأتي:

١ ـ كسب عقول في الدول النامية أو التأثير عليها كحد أدنى.
٢ ـ منع نشوء إعلام وطني أو التأثير عليه وإحتوائه إن وجد.
٣ ـ توفير الوسائل والمبتكرات التكنولوجية كالبث الاذاعي والتلفزيوني العالمي أو القارىء.
٤ ـ توير وسائل الطباعة السريعة والحديثة وأجهزة الكومبيوتر، التي جعلت الاتصال ذا تأثير عالمي والذي مكّن الامبريالية من خلق شبه إحتكار عالمي في أغلب الدول النامية.
٥ ـ الاعتماد على الثقافة والاعلام الامبريالي الجاهز نتيجة، لنقص الوعي والامية والجهل والفقر والتخلف التقني والعلمي.
٦ ـ إرتباط بعض الدول النامية بالعجلة الامبريالية والتبويق لأعلامها وترويجه.

أوجه الاختلاف بين الاعلام الامبريالي وإعلام الدول النامية :

عرفنا مما سبق حركة الاعلام الامبريالي ومظاهر إحتكاره، وأوضحنا أيضاً إمكانيات الدول النامية للأ علام، و سنحدد بالضبط و جوه الا ختلاف بين الاعلا مين نبتدىء أوّلاً بالإعلام الامبريالي.

١ ـ الإعلام الإمبريالي:

أ ـ حر كة الا علام الامبر يالي الوا سعة عن طر يق مندوبيه أو مرا سليه، لتغطية الأحداث العالمية أينما وجدت.
ب ـ القفزات الثقافية التي من شأنها تطوير الاعلام الامبريالي، ومصاحبة التطور التكنولوجي، بالاضافة إلى و جود الكثير من المؤسسات التي تعني بتطوير كفاءات الصحفيين من معاهد وكليات.
ج ـ إشاعة بعض المصطلحت المخزو نة التي تطلقها الدول الامبريالية، لتحقيق بعض الأهداف والغايات التي من شأنها تكريس تخلف الدول النامية، مثل مصطلح الدول المتخلفة، لتبرير إستغلالها وأدامة وصايتها عليها.
د ـ طرح بعض الحزازات في المنطقة المراد التأثير عليها، وأثارتها بغرض إبعادها عن قضاياها الأساسية، وإشغالها بأمور تافهة لسلب إرادتها، كزرع الفتن والنعرات الطائفية وإثارة مشاكلها.
هـ ـ إغراق أسواق الدول النامية بكثير من الكتب والمجلات والكراسات، وتصوير الدول الامبريالية بما يحسن صورتها أمام شباب الدول النامية، وبما يقنع الشعوب النامية بضرورة إرتباط الدول النايمة بالدول الامبريالية،

وضرب الوصاية عليها.

٢ ـ الإعلام في الدول النامية:

أ ـ عجز أجهزة إعلام الدول النامية عن تغطية الأحداث العالمية، نتيجة لافتقارها للمندوبين والمراسلين العالميين.

ب ـ التخلف الثقافي العاجز عن التواصل الصحفي وتطويره، مما يؤدي إلى عدم القدرة على إستحداث وسائل صحفية وتقنية تخدم هذا المجال.

ج ـ النقص الكبير أو عدم إهتمام الدول النامية بقضية الاعلام مما يجعل هذا الجانب منسياً من حيث فتح المعاهد أو الكليات لغرض إعداد كوادره.

د ـ التبويق لصحافة وأجهزة إعلام الدول الامبريالية ولمصطلحاتها، بدون وعي أو بوعي مغرض.
هـ ـ إعتياد التناول الاعلامي الامبريالي، وتعامل إعلام الدول النامية مع قضايا الجنس والشذوذ والغيبيّات والأفكار كالوجودية مثلاً «ممّا يؤثر تأثيراً» تخديرياً على شعوب الدول النامية.